Journal Of the Iraqia University (75-3) February (2026)
ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

معركة العقاب و أثرها في سقوط دولة الموحدين في الأندلس

م.م ثامر عبود جاسم حمود
وزارة التربية مديرية تربية كركوك

The Battle of Al-Uqab Fall of Almohad state in Andalusia .

M.M Thamer Aboud Jassim Hamoud.
Workplace. Ministery of Education Kirkuk Education Directorate.
Thamerdak80@gmail.com

المستخلص:

عانى مسلمو الأندلس خلال حكم ملوك الطوائف من النزاعات الداخلية التي جعلتهم ضعفاء أمام اعدائهم، فمدوا أنظاره إلى القوى الموجودة في المغرب في البداية استنجد الأندلسيون بالمرابطين ولما فشل المرابطين في تحقيق آمالهم وجهوا أنظارهم إلى دولة الموحدين، وبالفعل عبر الموحدين إلى الأندلس وواجهوا أطماع القوى المسيحية في الأندلس ولكن فشلهم في معركة العقاب التي حدثت بينهم وبين مجموعة من القوى المسيحية فيما يعرف بحروب الاسترداد أو الحروب الصليبية فتح عليهم أبوابا من المشكلات والاضطرابات لم يستطيعوا إغلاقها، وكان من نتيجة ذلك انهيار الدولة التي أسسها الموحدين في الأندلس، ومن ثم سقوط دولتهم في المغرب العربي و أفول نجمهم إلى الأبد.كلمات مفتاحية : معركة العقاب سقوط دولة الاندلس.

Abstract

Highly sought the basis during the rule of the Taifa kings of internal conflicts that made them water in front of their enemies, they focused their eyes on the powers present in Morocco at the beginning of the Al-Itmaam Mosque with the Almoravids and he has the merit of the Almoravids in achieving their hopes, they directed their home to the Almohad state, and indeed the non-Almohads to Andalusia and faced the consensus of the Almohad forces in Andalusia, but their failure in the Battle of Al-Uqab opened doors for them of problems and disturbances that they could not drown, and from the face of the king, the cactus state that the Almohads founded in the Int, and then the fall of them in the Maghreb and I say Their name forever.Keywords:Battle of Al-Uqab ,Fall of The Andalusian state.

مقدمة:

في العقد الثاني من القرن الثالث عشر للميلاد تراجعت قوة المسلمين ووحدتهم إلى حد كبير في الأندلس في الوقت الذي بدأت فيه الممالك المسيحية حملات وحروب ضدهم أطلقت عليها اسم حروب الاسترداد تلك الحروب قادتها بشكل رئيسي مملكتا قشتالة بزعامة الفونسو واراغون إلى جانب مملكة البرتغال، تمكن هؤلاء خلال تلك الحروب من هزيمة القوات الإسلامية الممثلة الموحدين بزعامة محمد الناصر في معركة العقاب عام ١٢١٢م، شكلت الأحداث التي تلت هزيمة الجيش الإسلامي في تلك المعركة مقدمة للمرحلة التي تلتها ونجم عنها استمرار الضعف والانحطاط في دولة الموحدين والذي استمر حتى سقوط حكم الموحدين في الأندلس وخروجهم منها وكان لهذا أيضا انعكاسا على أوضاعهم في المغرب العربي زمان أيضا سببا في نهاية دولة الموحدين هناك،

الهدف من الموضوع:

يهدف الموضوع الى إبراز أهم النقاط التي ساهمت في إضعاف قوة المسلمين في الأندلس والتمهيد لخروجهم منها. إذ شكلت معركة العقاب بداية النهاية للوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية،.

أهمية الموضوع:

تعود أهمية الموضوع إلى كونه يوضح لنا مراحل الضعف والانهيار التي مرت بها دولة الموحدين في الأندلس تلك القوة التي علق عليها المسلمون آمالهم إلا أنها تعرضت للهزيمة بفعل عوامل عديدة وكان ذلك سبباً في نهاية دولة الموحدين في الأندلس.

منهج البحث:

سنتبع في هذا البحث المنهج التاريخي التحليلي الذي يقوم على جمع المعلومات وتحليلها للوصول إلى الحقيقة التاريخية قدر المستطاع.

المبحث الأول: الدولة الموحدية والصراع الإسلامي المسيحي:

قامت دولة الموحدين على ركائز دينية إسلامية ورفعت شعار الأمر بالمعروف، قام أمراء الدولة الموحدة ببسط سلطتهم على مناطق واسعة من المغرب العربي،مشكلة بذلك دولة إسلامية مترامية الأطراف، واتخذت من مدينة مراكش في المغرب الأقصى عاصمة لها. مع قيام الدولة الموحدية في البداية في المغرب العربي كان المسلمين في الأندلس في ظل حكم دولة المرابطين يتعرضون للكثير من الضغوط والهجمات العسكرية من مختلف الجهات لذلك اتجهت أنظار مسلمي الأندلس إلى الأمير الموحدين علي بن عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ ٥٥٨هـ / ١١٢٩ – ١١٦٢م) ليخلصهم من تلك المشكلات ودعوه فعلا إلى الأندلس ووعدوه بالوقوف إلى جانبه ونصرته إن هو دخل الأندلس ,2017 , .(Arnold(p.13استجاب القائد الموحدين عبد المؤمن بن علي لتلك المطالب ووجدها فرصة سانحة لتوسيع نفوذه والسيطرة على الأندلس، دخلت جيوشه في ٥٤١هـ الأندلس فسيطر على العديد من المدن منها رندة ولبلة وغيرها، واستمروا في تقدمهم حتى تمت لهم السيطرة على إشبيلية واتخذوا منها عاصمة للدولة الموحدية في الأندلس .سيطروا بعدها على مالقة وبعد مدة أقل من عامين وصلت سيطرة الموحدين إلى قرطبة، ومع حلول عام ٥٤٥هـ كان الموحدون قد احكموا سيطرتهم على معظم الأندلس وقضوا على نفوذ المرابطين)موسى، ١٩٨٣، ص. ٨٨) .

بعد أن تمت سيطرة الموحدين على الأندلس قام عبد المؤمن بن علي بجعل الحكم وراثيا لعائلته وبذلك يكون قد خالف بشكل واضح وصريح تعاليم المهدي بن تومرت، (Garcia, 1990, p. ٥٧١٥) ونتج عن هذا التغيير أيضا حدوث خلافات وانشقاقات ضمن الأسرة فعندما وصل أبو يعقوب يوسف إلى السلطة بعد وفاة أبيه عبد المؤمن بن علي، حدث خلاف داخل الأسرة حول موضوع البيعة له بين موافق ومعارض وكاد الأمر أن يتسبب بمشكلة كبيرة داخل الأسرة الموحدية لولا تدخل بعض الشخصيات ذات المنصب الديني الذين أصلحوا بين الإخوة لتتم البيعة للأمير يوسف بن عبد المؤمن في ٥٦٣هـ، وتلقب بلقب أمير المؤمنين، وقد اتخذ الأمراء الموحدين هذا اللقب كدليل على خلافتهم الإسلامية. .(Abun-Nasr, 1987, p. 67)خلال فترة حكمه استكمل يوسف بن عبد المؤمن السيطرة على باقي المناطق التي كانت لاتزال تحت سلطة المرابطين، وقد واجه بن عبد المؤمن العديد من الاضطرابات التي أخلت بالأمن آنذاك، من تلك الثورات ثورة ابن مردنيش[1] في شرق الأندلس في المناطق الممتدة من بلنسية[2] شمالا حتى قرطاجنة[3] جنوباً، وحتى يتفرغ الأمير الموحدين للتصدي لتلك الأخطار عقد هدنة مع النصارى، فاضطر ابن مردنيش للاستسلام للموحدين بعدما كان يأمل أن يدعمه ملك قشتالة ضد الموحدين(عويس، ١٩٨٩، ص. ١٥٨)**معركة العقاب**:يرجع تاريخ بداية حروب الاسترداد تقليديًا إلى معركة كوفادونجا (حوالي ٧١٨ أو ٧٢٢)، حيث حقق جيش أستوري أول انتصار مسيحي على قوات الخلافة الأموية منذ بداية الغزو العسكري. وانتهت حروب الاسترداد في عام ١٤٩٢ بسقوط مملكة غرناطة في أيدي الملوك الكاثوليك(أشباخ، ١٩٨٥، ص. ٤٩)في عام ١١٩٥، هزم الموحدون ألفونسو الثامن ملك قشتالة في معركة ألاركوس. وبعد هذا النصر، استولوا على عدة مدن مهمة: تروخيو، وبلاسينسيا، وتالافيرا، وكوينكا، ومدريد، وأوكليس. ثم في عام ١٢١١، عبر الأمير الموحدين محمد الناصر مضيق جبل طارق بجيش قوي، وغزا الأراضي المسيحية، واستولى على قلعة سالفاتيرا، معقل فرسان كالاترافا [4]. كان التهديد للممالك المسيحية الإسبانية كبيرًا لدرجة أن البابا إنوسنت الثالث دعا الفرسان المسيحيين إلى حملة صليبية ، (O'Callaghan, 1975, p. 66))بداية المعركة: في ١٦ تموز ١٢١٢ وكانت نقطة تحول مهمة في حروب الاسترداد والتاريخ الوسيط لإسبانيا. انضمت جيوش منافسيه سانشو السابع ملك نافارا وبيتر الثاني ملك أراغون إلى القوات المسيحية للملك ألفونسو الثامن ملك قشتالة، في معركة ضد حكام الموحدين المسلمين في النصف الجنوبي من شبه الجزيرة الأيبيرية تنظيم الجيوش:جمع الخليفة الموحدي محمد الناصر عددا كبيرا من القوات العسكرية للمشاركة في المعركة وقد تم تضخيم حجمها إلى حد كبير من خلال السجلات المسيحية والمسلمة على حد سواء حيث وصل العدد إلى حوالي: "٨٠.٠٠٠ فارس حسب سجلات الملك الفونسو الثامن كما تم تقدير عدد الفرسان بـ ١٨٥.٠٠٠، بالإضافة إلى عدد لا يحصى من المشاة " أما من الجانب الإسلامي فيوصف جيش المسلمين بأنه يتكون من حوالي ٦٠٠ الف رجل(العقاني، ص١٠١.(في مواجهة كل هذه الأرقام غير الحقيقية، هناك اليوم ميل لتقدير عددهم بما يزيد قليلا عن ٣٠ ألف جندي. ولم يكن تكوينها أقل تجانسا من تكوين الجيش المسيحي. وبالإضافة إلى الجيش النظامي، الذي كان محترفًا ويعتمد على الدولة، كان يتكون من أفراد جندوا بشكل قسري و مجموعة متطوعين جهاديين. كان الجيش النظامي يتكون بدوره

من أعراق وقبائل مختلفة: البربر المرابطون، قبائل أمازيغية أخرى، العرب الأندلسيون، الأكراد، العبيد السود من الحرس الشخصي للأمير وحتى المرتزقة المسيحيين(Ruiz Souza, 2001, p. 35)أحداث المعركة، عبر ألفونسو سلسلة الجبال التي دافعت عن معسكر الموحدين، متسللاً عبر ممر ديسبينابيروس ط، في ١٦ يوليو ١٢١٢م.(Ruiz Souza, 2001, p. 38)تم استدعاء الجيش المسيحي إلى طليطلة يوم العنصرة[5] ١٢١٢ في العشرين من أيار وانطلق في ٢٠ يونيو متقدما جنوباً لملاقاة مضيفي الموحدين، واتجهت القوات المسيحية نحو المنطقة المفتوحة التي يتمركز فيها المسلمون. أي أن نافاس دي تولوسا، أو سهول لا لوسا، تقع بالقرب من بلدة سانتا إيلينا (حيث تم افتتاح مركز تفسير المعارك)، شمال غرب مقاطعة جيان. لذلك كانت التوقعات هي خوض معركة ضارية كبيرة. ومع ذلك، قرر الناصر قطع الطريق على العدو إلى الوادي، وللقيام بذلك وضع رجالًا في نقاط رئيسية، بحيث أحاطت الجبال بالمسيحيين، وبالتالي كانت قدرتهم على المناورة محدودة جدًا(أبو خليل، ١٩٨١، ص. ٣٥)دارت المعركة على مسافة قريبة نسبيًا، بحيث لم يتمكن الموحدون ولا الإسبان من استخدام الرماة في القتال الذي يهيمن عليه القتال اليدوي. وأصبح الفرسان الإسبان محاصرين في قتال عن قرب، حيث كانوا متفوقين على الموحدية، وتمكن بعض الفرسان الإسبان، وخاصة فرسان سانتياغو، من اختراق خط دفاع الموحدين بشكل حاسم حيث ألحقوا خسائر فادحة بالموحدين وأنشأوا اختراقًا مع ظهور فجوات في خطوط العدو. أدى هذا إلى إمكانية وجود رأس حربة. ثم قاد الملك سانشو السابع فرسانه عبر الفجوات، واستغلها، وهاجم خيمة الخليفة(العمر، ١٩٩١، ص. ٥٨).كان الخليفة قد أحاط بخيمته بحارس شخصي من المحاربين العبيد السود. ورغم أنه زعم ذات مرة أن هؤلاء الرجال كانوا مقيدين معًا بالسلاسل لمنعهم من الفرار، إلا أنه يُعتقد على الأرجح أن هذا ناتج عن ترجمة خاطئة لكلمة "serried"، والتي تعني تشكيلًا مكتظًا. وقد تمكنت قوة نافارا بقيادة ملكهم سانشو السابع من اختراق هذا الحرس الشخصي. وهرب الخليفة، لكن المغاربة هُزموا، تاركين خسائر فادحة في ساحة المعركة. واستولى المسيحيون المنتصرون على العديد من غنائم الحرب؛ حيث تم تسليم خيمة محمد الناصر ورايته إلى البابا إنوسنت الثالث. توفي محمد الناصر في مراكش بعد ذلك بفترة(العفاني، ١٩٩٧، ص. ٩٨)وعلى الرغم من كل شيء، تمكن المسيحيون من التغلب على المسلمين حيث قاموا بالتحرك للاقتراب من العدو من الغرب، عبر ممر يسمى بويرتو ديل ري، والذي سمح لهم بعبور سلسلة الجبال والسير على أرض سهلة ومنبسطة، يسيرون ضد منافسة. تقول السجلات القشتالية أن الشخص الذي كشف للقوات عن وجود هذا المسار كان راعيًا محليًا، والذي يعرفه بعض المؤلفين باسم مارتن ألهاجا [6]، بينما تنسب قصص أخرى الكشف عن الممر إلى سان إيسيدرو [7]، وهو الجدل الذي أثار جدلاً ساخنًا في القرن الثامن ,) (Fernández Montes, 1990, p. 716ووقعت مناوشات صغيرة يومي السبت والأحد التاليين. وفي يوم الاثنين ١٦ تموز هاجموا الموحدين. تم ترتيبهم في ثلاث مجموعات أو صفوف من فيالق حدثت هذه النقطة الحاسمة من المعركة عند الظهر، واستمرت حركات الهجوم والهجوم المضاد لبعض الوقت دون أن تقع المبادرة بشكل واضح على أي من الجانبين. من المحتمل أنه في مرحلة ما من المعركة، كان التقدم ومناورة التطويق من أجنحة القوات الموحدية على وشك تحديد النصر(العفاني، ١٩٩٧، ص. ٩٨)في تلك المرحلة أمر ألفونسو الثامن برفض التقدم على أجنحة العدو للحفاظ على شعاع مركزي قوي. هذا هو الوقت الذي يلعب فيه الجزء الأكبر من سلاح الفرسان المسيحي، ربما الأراغونيين على الجانب الأيسر والنافاريسي والكونسيجيل على اليمين، أو حتى مع حركة سلاح الفرسان القشتالي نحو الجناح الأضعف. على كل حال نجح الجانب المسيحي في إيقاف المسلمين في الجوانب وتثبيت العوارض من جديد(العمر، ١٩٩١، ص. ١٠٣)أخيرًا، في وقت متأخر من بعد الظهر، أمر ألفونسو الثامن بالتقدم الشامل للحرس الخلفي المسيحي بأكمله، ووضع أفضل جزء من قواته وسلاح الفرسان الثقيل وكل بقية الجيش في القتال في جهد تقدم مكثف أدى إلى تراجع الاستقرار. للخطوط الإسلامية حتى إجبارهم على الانسحاب. وعندما حدثت الهزيمة، أدى حشد القوات الإسلامية إلى تفاقم الوضع وتمكن المسيحيون من الوصول إلى معسكر الناصر، حيث اضطروا إلى الفرار على عجل , القتال. بعد انسحاب الموحدين، قام الجيش المسيحي بالمطاردة حتى غروب الشمس، وهي حركة نهائية معتادة تهدف إلى الحصول على غنائم الحرب. امتدت المطاردة لنحو عشرين أو خمسة وعشرين كيلومتر(O'Callaghan, 1975, p. 59)**نتائج المعركة:**وكانت عواقب هذه المعركة حاسمة. على الرغم من أنها لم تكن تعني نهاية الإمبراطورية الموحدية، إلا أن الهزيمة العسكرية أدت إلى تراجع كبير في عدد الموحدين في شبه الجزيرة الأيبيرية والمغرب العربي في العقد التالي. كما أنها أعطت زخماً للفتوحات المسيحية اللاحقة. في وقت لاحق، غزا ألفونسو الثامن بنفسه أوبيدا وبايزا، مفاتيح حوض الوادي الكبير، في معركة أوبيدا، في نفس العام. بعد ذلك، استولى فرديناند الثالث ملك قشتالة، حفيد ألفونسو الثامن، على قرطبة عام ١٢٣٦، وخاين عام ١٢٤٦، وإشبيلية عام ١٢٤٨. وفي عام ١٢٤٣، وقع أمير طائفة مرسية (ابن هود الدولة) على تنازلات الكاراز مع الملوك. إنفانتي ألفونسو ملك قشتالة يمثل فرديناند الثالث، ويقبل حماية مملكتي قشتالة وليون. استولى ألفونسو الحكيم على مورسيا وأوريهويلا عام ١٢٤٣، وقرطاجنة عام ١٢٤٥، وأليكانتي عام ١٢٤٨. استولى الملك فرديناند لاحقًا على أركوس ومدينة سيدونيا وخيريز والكثير من أراضي الموحدين،

لكنه توفي في إشبيلية في ٣٠ آيار ١٢٥٢، أثناء تفشي الطاعون في جنوب إسبانيا. وفاة فرديناند فقط هي التي منعت القشتاليين من شن الحرب على الموحدين على ساحل البحر الأبيض المتوسط. كما غزا جيمس الأول ملك أراغون جزر البليار[8] (من عام ١٢٢٨ في السنوات الأربع التالية) وفالنسيا (استسلمت المدينة في ٢٨ سبتمبر ١٢٣٨).العمر، ١٩٩١، ص. ١٠٣)في عام ١٢٥٢، كانت الإمبراطورية الموحدية على وشك الانتهاء، تحت رحمة قوة أفريقية ناشئة أخرى. في عام ١٢٦٩، سيطرت رابطة جديدة للقبائل الأفريقية، المرينيون، على المغرب العربي، وخضعت معظم الإمبراطورية الموحدية السابقة لحكمهم. لاحقًا، حاول المرينيون استعادة أراضي الموحدين السابقة في أيبيريا، لكنهم هُزِموا نهائيًا على يد ألفونسو الحادي عشر ملك قشتالة وألفونسو الرابع ملك البرتغال في معركة سالادو، وهي آخر مواجهة عسكرية كبيرة بين الجيوش المسيحية والإسلامية الكبيرة في إسبانيا)عنان، ١٩٩٧، ص. ٥٠٢-٥٠٨)وكانت النتائج المباشرة للمعركة هي: سيطر المسيحيون على بعض الممرات في سييرا مورينا، وقلاع فيلتشيس، وفيرال، وبانوس دي لا إنسينا، وتولوسا. وكان الاستيلاء على بايزا بسبب هجر المسلمين لها، وبدلاً من احتلالها على الفور هدموها. تم غزو عبادة بالحصار، لكن المسيحيين اضطروا إلى التخلي عنها بعد أيام قليلة و تم بناء قلعة كالاترافا لا نويفا، التابعة لبلدية ألديا ديل ري، من قبل فرسان وسام كالاترافا، باستخدام السجناء المسلمين من معركة العقاب (لاس نافاس دي تولوسا)، بين عامي ١٢١٣ و١٢١٧. لقد قاموا بعملية شاقة إعادة تبشير المنطقة التي شملت بناء المعابد والمقدسات الجديدة وإعادة بناء المباني القوطية الغربية البدائية، مثل حرم سانتا ماريا ديل مونتي دي بولانيوس دي كالاترافا (أشباخ، ١٩٨٥، ص. ٢٦٤-٢٦٨)أدت الهزيمة الساحقة التي تعرض لها الموحدون إلى تعجيل انحدارهم بشكل كبير في شبه الجزيرة الأيبيرية وفي المغرب العربي بعد عقد من الزمان. وقد أعطى ذلك دفعة إضافية للاستعادة المسيحية وقلص بشكل حاد من قوة المغاربة المتدهورة بالفعل في شبه الجزيرة الأيبيرية. بعد وقت قصير من المعركة، استولى القشتاليون على بايزا ثم أوبيدا، المدن المحصنة الرئيسية بالقرب من ساحة المعركة وبوابات لغزو الأندلس. وفقًا لرسالة من ألفونسو الثامن ملك قشتالة إلى البابا إنوسنت الثالث، تم إخلاء بايزا ونقل سكانها إلى أوبيدا و حاصر ألفونسو المدينة، مما أسفر عن مقتل عددا كبيرا من المسلمين واستعباد الكثيرين غيرهم. وفقًا لسجلات ملوك قشتالة اللاتينية، فإن العدد المذكور هو ما يقرب من ١٠٠.٠٠٠ مسلم، بما في ذلك الأطفال والنساء الذين تم أسرهم(عنان، ١٩٩٧، ص. ٣١٨-٣٢٢) .بعد ذلك استولى حفيد ألفونسو الثامن فرديناند الثالث ملك قشتالة على قرطبة في عام ١٢٣٦، وخاين في عام ١٢٤٦، وإشبيلية في عام ١٢٤٨؛ ثم استولى على أركوس، وميدينا سيدونيا، وخيريز، وقادس. في عام ١٢٥٢، كان فرديناند يجهز أسطوله وجيشه لغزو أراضي الموحدين في إفريقيا، لكنه توفي في إشبيلية في ٣٠ مايو ١٢٥٢، أثناء تفشي الطاعون في جنوب إسبانيا، وفاته منعت القشتاليين من نقل الحرب إلى الموحدين على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ثم غزا جيمس الأول ملك أراغون جزر البليار (من عام ١٢٢٨ على مدى السنوات الأربع التالية) وفالنسيا (استسلمت المدينة في ٢٨ سبتمبر ١٢٣٨))عنان، ١٩٩٧، ص. ٤٥٠-٤٦٥)بحلول عام ١٢٥٢، كانت إمبراطورية الموحدين قد انتهت تقريبًا، تحت زحف وهجمات قوة بربرية ناشئة أخرى. في عام ١٢٦٩، سيطر اتحاد جديد من القبائل البربرية من بني مرين على المغرب، وقد حاول المرينيون استعادة أراضي الموحدين السابقة في شبه الجزيرة الايبيرية، لكنهم هُزموا نهائيًا على يد ألفونسو الحادي عشر ملك قشتالة وألفونسو الرابع ملك البرتغال في معركة ريو سالادو، وهي آخر مواجهة عسكرية كبرى بين جيوش مسيحية وإسلامية كبيرة في إسبانيا. لذا، يبدو أن معركة (العقاب) (لاس نافاس دي تولوسا) كانت نقطة تحول حقيقية في تاريخ المنطقة، بما في ذلك غرب البحر الأبيض المتوسط و يعد التاريخ الغربي معركة لاس نافاس دي تولوسا كما يسمونها أو العقاب حسب التسمية العربية الإسلامية من المعارك التي وقعت ضمن ما يعرف بحروب الاسترداد التي كانت عبارة عن مجموعة متلاحقة من الحملات العسكرية والثقافية التي شنتها الممالك المسيحية الأوروبية ضد الممالك الإسلامية في أعقاب الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية من قبل الأمويين ، والتي بلغت ذروتها في حكم الملوك الكاثوليك لإسبانيا.) الحجي، ٢٠١٠، ص. ٤٨٢-٤٨٩)

المبحث الثاني: انهيار الدولة الموحدية:

عام ١٢١٢ هُزم الخليفة الموحدي محمد الناصر (١١٩٩-١٢١٤)، خليفة المنصور، بعد تقدم ناجح في البداية نحو الشمال، على يد تحالف من الملوك المسيحيين الثلاثة لقشتالة وأراغون ونافارا في معركة العقاب في سييرا مورينا. كسرت المعركة تقدم الموحدين، لكن القوى المسيحية ظلت غير منظمة للغاية بحيث لم تتمكن من الاستفادة منها على الفور).عنان، ١٩٩٧، ص. ٢٩٦-٣٠٥)قبل وفاته عام ١٢١٣، عيَّن الناصر ابنه الصغير البالغ من العمر عشر سنوات يوسف الثاني "المستنصر" خليفةً للمسلمين. وقد مر الموحدون بفترة من الوصاية الفعلية للخليفة الشاب، حيث مارست السلطة مجموعة من كبار أفراد الأسرة وبيروقراطيي القصر والنبلاء البارزين. وكان وزراء الموحدين حريصين على التفاوض على سلسلة من الهدن مع الممالك المسيحية، والتي ظلت قائمة إلى حد ما لمدة خمسة عشر عامًا تالية (كانت خسارة ألكاسير دو سال لصالح مملكة

البرتغال عام ١٢١٧ استثناءً)في أوائل عام ١٢٢٤، توفي الخليفة الشاب في حادث، دون أي ورثة. وسارع بيروقراطيو القصر في مراكش، بقيادة الوزير عثمان بن جامع، إلى هندسة انتخاب عمه الأكبر المسن، عبد الواحد الأول "المخلوع"، خليفةً جديدًا للموحدين. لكن التعيين السريع أزعج فروعًا أخرى من العائلة، ولا سيما إخوة الراحل الناصر، الذين حكموا في الأندلس. أثار التحدي على الفور من قبل أحدهم، حاكم مرسية آنذاك، الذي أعلن نفسه الخليفة عبد الله العادل. وبمساعدة إخوته، استولى بسرعة على السيطرة على الأندلس. استغل مستشاره الرئيسي، أبو زيد بن يوجان الغامض، اتصالاته في مراكش، وأمن عزل واغتيال عبد الواحد الأول(عنان، ١٩٩٧، ص. ٣٤٥-٣٥٢)وقد وُصف هذا الانقلاب بأنه الحصاة التي كسرت الأندلس في النهاية. وكان أول انقلاب داخلي بين الموحدين. فقد ظلت دولة الموحدين، على الرغم من الخلافات العرضية، متماسكة ومخلصة دائمًا للأولوية الأسرية. وقد شوه انتهاك الخليفة العادل القاتل للآداب الأسرية والدستورية قبوله لدى شيوخ الموحدين الآخرين. وكان أحد المتمردون ابن عمه، عبد الله البياسي حاكم جيان[9] الموحدي، الذي أخذ مجموعة من أتباعه ورحل إلى التلال المحيطة بمقاطعة جيان. وأقام معسكرًا للمتمردين وعقد تحالفًا مع فرديناند الثالث ملك قشتالة الذي كان هادئًا حتى ذلك الحين. ولما شعر بأن مراكش هي أولويته الكبرى، حيث احتشد شيوخ الموحدين المتمردون خلف يحيى، وهو ابن آخر للناصر[10].في عام ١٢٢٥، نزلت فرقة المتمردين التابعة لعبد الله البياسي، برفقة جيش قشتالي كبير، من التلال، وحاصرت مدنًا مثل جيان وأندوجار. وقد شنوا غارات على مناطق جيان وقرطبة و غرناطة، وقبل نهاية العام، كان البياسي قد أسس نفسه في مدينة قرطبة. وقد لمس المسيحيون شعورًا بالفراغ في السلطة، فأمر كل من ألفونسو التاسع ملك ليون وسانشو الثاني ملك البرتغال بشن غارات على الأراضي الأندلسية في نفس العام. ومع إرسال أسلحة الموحدين ورجالهم وأموالهم إلى المغرب لمساعدة الخليفة العادل في فرض نفسه في مراكش، لم تكن هناك سوى وسائل قليلة لوقف الهجوم المفاجئ. وفي أواخر عام ١٢٢٥، وبسهولة مدهشة، وصل الغزاة البرتغاليون إلى ضواحي إشبيلية. ولما أدرك حكام المدينة الموحدون أن عددهم أقل من عدد الغزاة البرتغاليين، رفضوا مواجهة الغزاة البرتغاليين، الأمر الذي دفع سكان إشبيلية المستائين إلى أخذ الأمور بأيديهم، وتشكيل ميليشيا، والخروج إلى الميدان بأنفسهم. وكانت النتيجة مذبحة حقيقية ـ فقد تمكن البرتغاليون المسلحون من حصد أرواح حشد من سكان المدينة المسلحين بشكل سيئ بسهولة. وقيل إن الآلاف، ربما يصل عددهم إلى عشرين ألف شخص، قُتِلوا أمام أسوار إشبيلية. ووقعت كارثة مماثلة في حملة شعبية مماثلة شنها المورسيون في أسبي في نفس العام. ولكن الغزاة المسيحيين توقفوا في كاسيريس وريكينا. واهتزت الثقة في قيادة الموحدين بشدة بسبب هذه الأحداث ـ فقد ألقي باللوم في الكوارث على الفور على تشتيتات الخليفة وعدم كفاءة وجبن مساعديه، بينما نُسبت النجاحات إلى القادة المحليين غير الموحدين الذين حشدوا الدفاعات) ....Alistair (2007, p. 225) emphasizes thatولكن حظوظ الخليفة تحسنت لفترة وجيزة. ففي مقابل المساعدة القشتالية، أعطى البياسي فرديناند الثالث ثلاث حصون حدودية استراتيجية: بانيوس دي لا إنسينا، وسالفاتيرا (قلعة كالاترافا القديمة) وكابيلا. لكن كابيلا رفض تسليمها، مما أجبر القشتاليين على فرض حصار طويل وصعب، و قد صدم مشهد شحن البياسي للمؤن إلى المحاصرين القشتاليين، الأندلسيين وحولت المشاعر مرة أخرى نحو الخليفة الموحدي. اندلعت انتفاضة شعبية في قرطبة – قُتل البياسي وأُرسل رأسه كغنيمة إلى مراكش. ولكن الخليفة الموحدي لم يفرح بهذا النصر طويلا، إذ اغتيل في مراكش في أكتوبر ١٢٢٧، على يد أنصار أحد افراد العائلة المالكة ويدعى يحيى، الذي تم إعلانه على الفور خليفةً موحدياً جديداً هو يحيى "المعتصم".(Brann, 2009, pp. 121–122)رفض الفرع الأندلسي من الموحدين قبول هذا التحول في الأحداث. أعلن شقيق العادل، الذي كان آنذاك في إشبيلية، نفسه الخليفة الموحدي الجديد عبد العلي إدريس الأول "المأمون". وسرعان ما اشترى هدنة من فرديناند الثالث بعد أن دفع له مبلغا كبيرا من المال، مما سمح له بتنظيم وإرسال الجزء الأكبر من جيش الموحدين في إسبانيا عبر المضيق في عام ١٢٢٨ لمواجهة يحيى الخليفة الجديد في المغرب [11].في نفس العام، جدد البرتغاليون غاراتهم في عمق الأراضي الإسلامية، دون رادع تقريبًا. وشعروا بأن الموحدين فشلوا في حمايتهم، فاندلعت انتفاضات شعبية في جميع أنحاء الأندلس. وخلعت مدينة تلو الأخرى حكامها الموحدين التعساء ونصبت رجالًا أقوياء محليين في مكانهم. وبرز رجل قوي من مرسية، محمد بن يوسف بن هود الجذامي، الذي ادعى أنه ينحدر من سلالة بني هود التي حكمت ذات يوم في سرقسطة، باعتباره الشخصية المركزية لهذه التمردات، حيث طرد بشكل منهجي حاميات الموحدين عبر وسط إسبانيا. في أكتوبر ١٢٢٨، مع خسارة إسبانيا بالكامل تقريبًا، تخلى المأمون عن إشبيلية، آخذًا معه ما تبقى من جيش الموحدين إلى المغرب(Abun-Nasr, 1987, p. 211) ولم يتمكن ابن هود وغيره من رجال الأندلس المحليين من وقف الطوفان المتزايد من الهجمات المسيحية، التي شنها كل عام تقريبًا سانشو الثاني ملك البرتغال، وألفونسو التاسع ملك ليون، وفرديناند الثالث ملك قشتالة، وجيمس الأول ملك أراغون. وشهدت السنوات العشرين التالية تقدمًا هائلاً في الاسترداد المسيحي – سقطت القلاع الأندلسية العظيمة القديمة في اكتساح كبير: ميريدا وبطليوس في عام ١٢٣٠ (لصالح ليون)، مايوركا في عام ١٢٣٠ (لصالح أراغون)، بيجة في عام ١٢٣٤ (لصالح البرتغال)، قرطبة في عام ١٢٣٦ (لصالح

قشتالة)، فالنسيا في عام ١٢٣٨ (لصالح أراغون)، نيبلا – هويلفا في عام ١٢٣٨ (لصالح ليون)، سيلفش في عام ١٢٤٢ (لصالح البرتغال)، مورسيا في عام ١٢٤٣ (لصالح قشتالة)، جيان في عام ١٢٤٦ (لصالح قشتالة)، أليكانتي في عام ١٢٤٨ (لصالح قشتالة)، مما بلغ ذروته بسقوط أعظم المدن الأندلسية، عاصمة الموحدين السابقة إشبيلية، في أيدي المسيحيين في عام ١٢٤٨. دخل فرديناند الثالث ملك قشتالة إشبيلية محتلا في ٢٢ ديسمبر ١٢٤٨.و كان الأندلسيون عاجزين أمام هذا الهجوم الشرس. حاول ابن هود إيقاف تقدم قوات ليون في وقت مبكر، لكن معظم جيشه الأندلسي دُمر في معركة ألانج عام ١٢٣٠. سارع ابن هود إلى نقل الأسلحة والرجال المتبقين لإنقاذ القلاع الأندلسية المهددة أو المحاصرة، ولكن مع كثرة الهجمات في وقت واحد، كانت محاولته يائسة. بعد وفاة ابن هود عام ١٢٣٨، عرضت بعض المدن الأندلسية نفسها مرة أخرى على الموحدين في محاولة أخيرة لإنقاذ نفسها، ولكن دون جدوى. لم يرغب الموحدون في العودة. (Abun–Nasr, 1987, p. 212)مع رحيل الموحدين، صعدت سلالة بني نصر (بنو نصر) إلى السلطة في غرناطة. بعد التقدم المسيحي في الفترة من ١٢٢٨ إلى ١٢٤٨، كانت إمارة غرناطة هي كل ما تبقى من الأندلس القديمة تقريبًا. أعيد تنظيم بعض القلاع التي تم الاستيلاء عليها (مثل مرسية وجيان ونيبلة) كدول تابعة لبضع سنوات أخرى، ولكن تم ضم معظمها بحلول ستينيات القرن الثالث عشر. ستظل غرناطة وحدها مستقلة لمدة ٢٥٠ عامًا إضافية، مزدهرة كمركز جديد للأندلس(Kennedy, 1996, p. 196)**الانهيار في المغرب** في ممتلكاتهم الأفريقية، شجع الموحدون تأسيس المسيحيين حتى في فاس، وبعد معركة لاس نافاس دي تولوسا دخلوا أحيانًا في تحالفات مع ملوك قشتالة. يختلف تاريخ انحدارهم عن تاريخ المرابطين، الذين شردهم الموحدون. لم يتعرضوا لهجوم من حركة دينية كبيرة، لكنهم فقدوا الأراضي، على شكل أجزاء، بسبب تمرد القبائل والمناطق. كان أعداؤهم الأكثر فعالية هم بنو مرين (المرينيون)[12] الذين أسسوا السلالة التالية. تم تقليص آخر ممثل للسلالة، إدريس الواثق، إلى ملكية مراكش، حيث قُتل على يد عبد في عام ١٢٦٩.) عنان، ١٩٩٧، ص. ٥٠٥–٥١٠)

الخاتمة:

استمر الحكم العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية زمناً طويلاً حدثت خلاله الكثير من الأحداث والوقائع، عاش فيه المسلمين فترات من الازدهار والرفاهية، كما مرت على المسلمين فترات أخرى عانى فيها من الفوضى والفقر وانعدام الأمن، ولكن بوجه عام استطاع المسلمون في الأندلس بناء حضارة إنسانية مازالت آثارها بارزة للعيان إلى أيامنا هذه، على الرغم من محاولات الطمس التي قام بها المسيحيون بعد الحروب الصليبية أو ما يسمونها حرب الاسترداد، في المرحلة الأخيرة من الحكم الإسلامي الأندلس كان للصراعات الداخلية بين المسلمين أنفسهم دوراً كبيراً في ضعفهم وتمكين أعدائِهم منهم وهذا ما حدث منذ بداية عصر ملوك الطوائف ومن ثم المرابطين والموحدين الذين كان حكمهم بمثابة بداية النهاية للحكم الإسلامي في الأندلس.

المصادر والمراجع المستخدمة في البحث:

١. .أبو خليل، شوقي. (١٩٨١). سقوط غرناطة (ط. ٢). دار الفكر.

٢. أشباخ، يوسف. (١٩٨٥). تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ترجمة محمد عبد الله عنان). مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٣. الحجي، عبد الرحمن علي. (٢٠١٠). التاريخ الأندلسي: من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة. دار القلم.

٤. العفاني، سيد بن حسين. (١٩٩٧). صلاح الأمة في علو الهمة (ط. ١). مؤسسة الرسالة.

٥. العمر، ناصر. (١٩٩١). سقوط الأندلس (ط. ١). مؤسسة المؤتمن؛ دار الوطن.

٦. الفاسي، ابن أبي زرع. (١٩٧٢). الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية. دار المنصور.

المصادر الأجنبية:

1- Fernández-Montes, M. (1999). Isidro: The man of God as a model for religious syncretism in the Middle Ages. Journal of Dialects and Popular Traditions.

2- Abun-Nasr, J. M. (1987). A history of the Maghrib in the Islamic period. Cambridge University Press.

3- Abu al-Nasr, Jamil (1987). History of Morocco University Cambridge:

4- Arnold, Felix (2017) Islamic Palace Architecture in the Western Mediterranean: A History. Oxford University,

5- Constable, O. R. (1990). Genoa and Spain in the twelfth andthirteenth centuries: documentary evidence for shifting patterns of trade. Journal of European Economic History. 19 (3):

6- Fernandez Carvajal Francisco (2010). Talk to God. Madrid.

7- First General Chronicle of Astoria de Spain from to Alfonso the Wise, ed. Ramon Menéndez Badal 1906

8- Galmés de la Fuente, Álvaro (2000). Real Academia de Historia (Madrid), p78
9- Garcia, Senin A. (1990) The Berbers of the Masmuda and Ibn Tumart.An ethnographic interpretation of the rise of theAlmohad movement" in Vol. 18, No. 1
10-Historia de Cartagena - Region of Murcia Digital. July 2020. Retrieved 1 February 2020
11-Islamic Civilization Reasons for Decline and the Need for Reform Alistair United Kingdom Islamic Foundation, January 2007, p-225
12-Joseph F. O'Callaghan: The Order of Calatrava and the Archbishops of Toledo in Studies in MedievalCistercian History. Introduced to Jeremiah F. O'Sullivan.1971)
13-Kennedy, Hyun. (1996). Muslim Spain and Portugal Political History of Andalusia. New York: Longman,
14-Kennedy, Hyun. (1996). Muslim Spain and Portugal Political History of Andalusia. New York: Longman,
15-Mayerson, Mark D. (1991). Muslims in Valencia in ^.45. The Age of Ferdinand and Isabella: Coexistence and the Crusades. Berkeley, CA: University of California
16-Professor Nick National Museum of Las Navas 110. de Tolosa, Spain (2015). Vegas Battle ,Museum.
17-Ross Brann, Power in the Portrayal: Representations of Jews and Muslims in Eleventh- and Twelfth-Century Islamic Spain, Princeton University Press, 2009, pp. 121–122.
18-Ruiz Souza Juan Carlos "Spoils of War and the Sacred Treasure" in The Wonders of Medieval Spain The Sacred Treasure and the Monarchy I Bango Monarchy I Bango Torviso, ed. Madrid (2001)

---

[1]**التعريفات:**

عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردانيش، (الملقب بالجذامى أو التجيبي (ولد سنة ١١٢٤ أو ١١٢٥ م/ ٥١٨ هـ، وتوفي سنة ١١٧٢م/٥٦٨ هـ كان ملك مرسية من سنة ١١٤٧ م/٥٤٢ هـ حتى وفاته أقام حكمه على مدن مرسية وبلنسية ودينيا مع تراجع قوة إمارة المرابطين، وعارض انتشار الخلافة الموحدية للمزيد ينظر:

Constable, O. R. (1990). Genoa and Spain in the twelfth andthirteenth centuries: documentary evidence for shifting patterns of trade. Journal of European Economic History. 19 (3): 635.

[2]هي واحدة من أقدم المدن في إسبانيا، تأسست في العصر الروماني حوالي عام ١٣٨ قبل الميلاد تحت اسم فالينتيا إديتانوروم، وبعد بضعة قرون، ومع الفراغ في السلطة الذي خلفه زوال الإدارة الإمبراطورية الرومانية، تولت الكنيسة الكاثوليكية السلطة في المدينة، تزامنًا مع الموجات الأولى من الشعوب الجرمانية الغازية و تقع مدينة فالنسيا على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة الأيبيرية والجزء الغربي من البحر الأبيض المتوسط، وتطل على خليج فالنسيا، وتقع على الطمي الرسوبي شديد الخصوبة المتراكم على السهول الفيضية المتكونة في مجرى نهر توريا السفلي. للمزيد ينظر:

Mayerson, Mark D. (1991). Muslims in Valencia in ^.45. The Age of Ferdinand and Isabella: Coexistence and the Crusades. Berkeley, CA: University of California Press. p. 14

[3]مدينة قرطاجنة في المنطقة الجنوبية الشرقية من إسبانيا في كامبو دي قرطاجنة. يمكن رؤية منطقة قرطاجنة كسهل كبير مائل قليلاً في الاتجاه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ويحدها من الشمال والشمال الغربي سلاسل جبلية ساحلية للمزيد ينظر:

Historia de Cartagena – Region of Murcia Digital. July 2020. Retrieved 1 February 2020 p95

[4]وسام كالاترافا: أحد الرهبانيات العسكرية الإسبانية الأربعة وأول رهبانية عسكرية تأسست في قشتالة، ولكنها كانت الثانية التي حصلت على موافقة بابوية. وقد أصدر البابا ألكسندر الثالث المرسوم البابوي الذي أكد على وسام كالاترافا في ٢٦ سبتمبر ١١٦٤. وقد تبددت معظم القوة السياسية والعسكرية للرهبان بحلول نهاية القرن الخامس عشر، ولكن الحل الأخير لممتلكات الرهبان لم يحدث حتى عام ١٨٣٨م هو الاسم العربي لقلعة استعادها من المسلمين، في عام ١١٤٧، ملك قشتالة، ألفونسو السابع، والتي تسمى الإمبراطور. تقع هذه القلعة في ما كان يُعرف آنذاك بالحدود الجنوبية لقشتالة، وكان الحفاظ عليها أكثر صعوبة من تحقيقها، خاصة في وقت لم يكن معروفًا فيه جيوش دائمة أو حاميات. ولتصحيح هذا النقص جزئيًا، تأسست الأوامر العسكرية مثل فرسان الهيكل، حيث يمكن للرجال الوفاء بنذر الحرب الدائمة ضد المسلمين، للمزيد ينظر:

Joseph F. O'Callaghan: The Order of Calatrava and the Archbishops of Toledo in Studies in MedievalCistercian History. Introduced to Jeremiah F. O'Sullivan.1971) p. 63

[5]العنصرة وتعني الخمسين هو المصطلح المستخدم لتعريف العيد المسيحي لليوم الخمسين من موسم عيد الفصح.في عيد العنصرة يتم الاحتفال بمجيء الروح القدس وبدء أعمال الكنيسة. ولهذا السبب يُعرف أيضًا باسم الاحتفال بالروح القدس. وبحسب المفهوم المسيحي الشائع فإن الروح القدس يمنح الشجاعة والحرية، للمزيد ينظر:

Fernandez Carvajal Francisco (2010). Talk to God. Madrid. p. 769

[6] كان راعي لاس نافاس شخصية في تاريخ إسبانيا في العصور الوسطى، وكان له تدخل عابر ولكن حاسم عشية معركة لاس نافاس دي تولوسا في عام ١٢١٢، حيث قام بتوجيه القوات المسيحية لألفونسو الثامن عبر سييرا مورينا على طريق آمن. إلى معسكر المسلمين إن غياب البيانات التاريخية الملموسة حول هذه الشخصية وتنوع الآراء التي تشكلت فيما بعد حول تدخله في الوقت المناسب، جعله موضوعًا للأسطورة والجدل التاريخي، للمزيد ينظر:

First General Chronicle of Astoria de Spain from to Alfonso the Wise, ed. Ramon Menéndez Badal 1906), pp. 697-700.

[7] ولد في ميريت المسلمة، وكان مزارعًا مستعربيًا ربما كان في خدمة عائلة فارغاس والعديد من ملاك الأراضي الآخرين مثل فرانسيسكو فيرا. تم تنفيذ عمله كعامل يومي ذكره كتاب السيرة الذاتية بواسطة خوان دي فارغاس،للمزيد ينظر:

a b c Fernández Montes Matilda (1999), Isidro A.3 The Man of God as a Model for Religious Syncretism in the Ages Middle. Journal of Dialects and Popular Traditions p751

[8] جزر البليار هي أرخبيل يقع في غرب البحر الأبيض المتوسط، بالقرب من الساحل الشرقي لشبه الجزيرة الأيبيرية. يشكل الأرخبيل مقاطعة ومجتمعًا مستقلًا في إسبانيا، كانت الجزر في السابق جزءًا من مملكة مايوركا، ثم أصبحت مقاطعة في التقسيم الإقليمي في القرن التاسع عشر، والتي حصلت في عام ١٩٨٣ على قانون الحكم الذاتي، للمزيد ينظر:

Estatut d'Autonomia de les Illes Balears، Llei Orgànica 1/2007، p1

[9]مقاطعة جيان: هي مقاطعة إسبانية تقع شمال شرق منطقة الأندلس المتمتعة بالحكم الذاتي وجنوب شبه الجزيرة الأيبيرية. وهي إحدى "ممالك الأندلس الأربع" التاريخية. يحدها من الغرب قرطبة، ومن الشمال مدينة سيوداد ريال، ومن الشرق الباسيتي، ومن الجنوب غرناطة. وعاصمتها مدينة جيان. للمزيد ينظر:

Galmés de la Fuente, Álvaro (2000). Real Academia de Historia (Madrid), p78

[10]Ruiz Souza Juan Carlos ,op,cit,p37

[11]Ross Brann,op,cit, p123

[12] بنو مرين فرع من قبيلة زناتة الأمازيغية البربرية، والتي ينتمي إليها عدد من القبائل التي لعبت أدوارًا مهمة في تاريخ المغربوكان بنو مرين في أول أمرهم من البدو الرحل، وفي سنة ٦٠١هـ نشبت بينهم وبين بني عبد الواد وبني واسين حرب فارتحلوا بعيدًا وتوغلوا في هضاب المغرب، ونزلوا بوادي ملوية الواقع بين المغرب والصحراء، واستقروا هناك إلى سنة ٦١٠هـ، وهي السنة التي مات فيها محمد الناصر الموحدى عقب موقعة العقاب، للمزيد ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، ١٩٧٢، ص ١٤.